(١٠١) سورة القارعة مكية
وآياتها إحدى عشرة

سورة القارعة مكية ، وهي تتحدث عن القيامة وأهوالها ، والآخرة وشدائدها ، وما يكون فيها من أحداثٍ وأهوال عظام ، كخروج الناس من القبور ، وانتشارهم في ذلك اليوم الرهيب كالفراش المتطاير ، المنتشر هنا وهناك ، يجيئون ويذهبون على غير نظام من شدة حيرتهم وفزعهم ، وكنسف الجبال وتطايرها حتى تصبح كالصوف المنبث المتطاير في الهواء ، بعد أن كانت صلبةً راسخة فوق الأرض ، وقد قرنت بين الناس والجبال تنبيهاً على تأثير تلك القارعة في الجبال حتى صارت كالصوف المندوف ، فكيف يكون حال البشر في ذلك اليوم العصيب ؟ وختمت السورة الكريمة بذكر الموازين التي توزن بها أعمال الناس ، وانقسام الخلق إلى سعداء وأشقياء حسب ثقل الموازين وخفتها ، وسميت السورة الكريمة بالقارعة لأنها تقرع القلوب والأسماع بهولها .

سورة القارعة

إحدى عشرة آية مكية

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ فكأنه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: هي القارعة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾

اعلم أن فيه مسائل:

المسألة الأولى: القرع: الضرب بشدة واعتماد، ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] ومنه قولهم: العبد يُقرع بالعصا، ومنه المِقرعة وقوارع القرآن وقرع الباب، وتقارعوا: تضاربوا بالسيوف. واتفقوا على أن القارعة اسم من أسماء القيامة، واختلفوا في لمية هذه التسمية على وجوه: **أحدها:** أن سبب ذلك هو الصيحة التي تموت منها الخلائق، لأن في الصيحة الأولى تذهب العقول، قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] وفي الثانية تموت الخلائق سوى إسرافيل، ثم يميته الله ثم يحييه، فينفخ الثالثة فيقومون. وروي أن الصور له ثقب على عدد الأموات لكل واحد ثقبة معلومة، فيحيي الله كل جسد بتلك النفخة الواصلة إليه من تلك الثقبة المعينة، والذي يؤكد هذا الوجه قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٤٩] ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الصافات: ١٩] **وثانيها:** أن الأجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكًا شديدًا عند تخريب العالم، فبسبب تلك القرعة سمي يوم القيامة بالقارعة. **وثالثها:** أن القارعة هي التي تقرع الناس بالأهوال والإفزاع، وذلك في السموات بالانشقاق والانفطار، وفي الشمس والقمر بالتكور، وفي الكواكب بالانتثار، وفي الجبال بالدك والنسف، وفي الأرض بالطي والتبديل، وهو قول الكلبي. **ورابعها:** أنها تقرع أعداء الله بالعذاب والخزي والنكال، وهو قول مقاتل، قال بعض المحققين: وهذا أولى من قول الكلبي لقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

المسألة الثانية: في إعراب قوله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وجوه: **أحدها:** أنه تحذير وقد جاء التحذير بالرفع والنصب، تقول: الأسد الأسد، فيجوز الرفع والنصب **وثانيها:** وفيه إضمار أي ستأتيكم القارعة على ما أخبرت عنه في قوله: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] **وثالثها:** رفع بالابتداء وخبره: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وعلى قول قطرب الخبر. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ فإن قيل: إذا أخبرت عن شيء بشيء فلا بد وأن تستفيد منه علمًا زائدًا، وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ يفيد كونه جاهلاً

به فكيف يعقل أن يكون هذا خبرًا؟ قلنا: قد حصل لنا بهذا الخبر علم زائد؛ لأنا كنا نظن أنها قارعة كسائر القوارع، فبهذا التجهيل علمنا أنها قارعة فاقت القوارع في الهول والشدة.

المسألة الثالثة: قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ فيه وجوه: **أحدها**: معناه لا علم لك بكنهها؛ لأنها في الشدة بحيث لا يبلغها وَهْم أحد ولا فهمه، وكيفما قدرته فهو أعظم من تقديرك، كأنه تعالى قال: قوارع الدنيا في جنب تلك القارعة كأنها ليست بقوارع، ونار الدنيا في جنب نار الآخرة كأنها ليست بنار، ولذلك قال في آخر السورة: ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾[القارعة: ١١] تنبيهًا على أن نار الدنيا في جنب تلك ليست بحامية، وصار آخر السورة مطابقًا لأولها من هذا الوجه. **فإن قيل**: ههنا قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ وقال في آخر السورة: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ [القارعة: ٩، ١٠] ولم يقل: (وماأدراك ما هاوية) فما الفرق؟ **قلنا**: الفرق أن كونها قارعة أمر محسوس، أما كونها هاوية فليس كذلك، فظهر الفرق بين الموضعين. **وثانيها**: أن ذلك التفصيل لا سبيل لأحد إلى العلم به إلا بإخبار الله وبيانه؛ لأنه بحث عن وقوع الوقعات لا عن وجوب الواجبات، فلا يكون إلى معرفته دليل إلا بالسمع.

المسألة الرابعة: نظير هذه الآية قوله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝﴾[الحاقة: ١-٣] ثم قال المحققون: قول: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ أشد من قوله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝﴾ [الحاقة: ١-٢] لأن النازل آخرًا لا بد وأن يكون أبلغ لأن المقصود منه زيادة التنبيه، وهذه الزيادة لا تحصل إلا إذا كانت أقوى، وأما بالنظر إلى المعنى، فالحاقة أشد لكونه راجعًا إلى معنى العدل، والقارعة أشد لما أنها تهجم على القلوب بالأمر الهائل.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝﴾

قال صاحب الكشاف: الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة، أي تقرع يوم يكون الناس كذا.

واعلم أنه تعالى وصف ذلك اليوم بأمرين: **الأول**: كون الناس فيه كالفراش المبثوث، قال الزجاج: الفراش هو الحيوان الذي يتهافت في النار، وسمي فراشًا لتفرشه وانتشاره، ثم إنه تعالى شَبَّه الخلق وقت البعث ههنا بالفراش المبثوث، وفي آية أخرى بالجراد المنتشر. أما وجه التشبيه بالفراش، فلأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى، يدل هذا على أنهم إذا بُعثوا فزعوا واختلفوا في المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة، والمبثوث المفرق، يقال: بثه، إذا فرقه. وأما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة. قال الفراء: كغوغاء الجراد يَركب بعضه بعضًا، وبالجملة فالله سبحانه وتعالى شَبَّه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر، وبالفراش المبثوث؛ لأنهم لما بُعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد والفراش، ويتأكد ما ذكرنا بقوله تعالى: ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾[النبأ: ١٨] وقوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[المطففين: ٦] وقوله في قصة يأجوج ومأجوج: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ﴾[الكهف: ٩٩] **فإن قيل**: الجراد بالنسبة إلى الفراش كبار، فكيف شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معًا؟ **قلنا**:

شبه الواحد بالصغير والكبير لكن في وصفين، أما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحدة إلى غير جهة الأخرى. وأما بالجراد فبالكثرة والتتابع. ويحتمل أن يقال: إنها تكون كبارًا أولاً كالجراد، ثم تصير صغارًا كالفراش بسبب احتراقهم بحر الشمس، وذكروا في التشبيه بالفراش وجوهًا أخرى: **أحدها**: ما روى أنه عليه السلام قال: «النَّاسُ عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ، وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ رَعَاعٌ» فجعلهم الله في الأخرى كذلك جزاء وفاقًا. **وثانيها**: أنه تعالى إنما أدخل حرف التشبيه فقال: ﴿كَالْفَرَاشِ﴾ لأنهم يكونون في ذلك اليوم أذل من الفراش؛ لأن الفراش لا يعذب، وهؤلاء يعذبون، ونظيره: ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤].

الصفة الثانية من صفات ذلك اليوم: قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ العهن: الصوف ذو الألوان، وقد مر تحقيقه عند قوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩] والنفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض، وفي قراءة ابن مسعود: كالصوف المنفوش.

واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان، على ما قال: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] ثم إنه سبحانه يفرق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها، فيصير ذلك مشابهًا للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشًا، **وههنا مسائل**:

المسألة الأولى: إنما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال، كأنه تعالى نبه على أن تأثير تلك القرعة في الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها؟! فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه، ويحتمل أن يكون المراد أن جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حمرتها.

المسألة الثانية: قد وصف الله تعالى تغير الأحوال على الجبال من وجوه: **أولها**: أن تصير قطعًا، كما قال: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] **وثانيها**: أن تصير كثيبًا مهيلاً، كما قال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] ثم تصير كالعهن المنفوش، وهي أجزاء كالذر تدخل من كوة البيت لا تمسها الأيدي، ثم قال في الرابع: تصير سرابًا، كما قال: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

المسألة الثالثة: لم يقل: يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش بل قال: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ لأن التكوير في مثل هذا المقام أبلغ في التحذير.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨﴾

واعلم أنه تعالى لما وصف يوم القيامة، قسم الناس فيه إلى قسمين فقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ واعلم أن في الموازين قولين: **أحدهما**: أنه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله، وهذا قول الفراء، قال: ونظيره يقال: عندي درهم بميزان درهمك ووزن درهمك وداري بميزان دارك ووزن دارك، أي بحذائها. **والثاني**: أنه جمع ميزان، قال ابن عباس:

الميزان له لسان وكفتان، لا يوزن فيه إلا الأعمال، فيؤتى بحسنات المطيع في أحسن صورة، فإذا رجح فالجنة له، ويؤتى بسيئات الكافر في أقبح صورة فيخف وزنه فيدخل النار. وقال الحسن في الميزان: له كفتان ولا يوصف. قال المتكلمون: إن نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنهما، خصوصًا وقد اقضيا، بل المراد أن الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن، أو يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات، أو تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة، فيظهر بذلك الثقل والخفة، وتكون الفائدة في ذلك ظهور حال صاحب الحسنات في الجمع العظيم فيزداد سرورًا، وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق.

أما قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ فالعيشة مصدر بمعنى العيش، كالخيفة بمعنى الخوف، وأما الراضية فقال الزجاج: معناه، أي عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها، وهي كقولهم: (لابن وتامر) بمعنى ذو لبن وذو تمر، ولهذا قال المفسرون: تفسيرها مرضية، على معنى يرضاها صاحبها.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي قلّت حسناته فرجحت السيئات على الحسنات، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحُق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم، وحُق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفًا. وقال مقاتل: إنما كان كذلك لأن الحق ثقيل والباطل خفيف.

قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

أما قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ ففيه وجوه: **أحدها:** أن الهاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة يهوى أهل النار فيها مهوى بعيدًا، والمعنى فمأواه النار، وقيل للمأوى أم على سبيل التشبيه بالأم التي لا يقع الفزع من الولد إلا إليها **وثانيها:** فأم رأسه هاوية في النار، ذكره الأخفش والكلبي وقتادة، قال: لأنهم يهوون في النار على رؤوسهم. **وثالثها:** أنهم إذا دعوا على الرجل بالهلاك قالوا: (هوت أمه) لأنه إذا هوى، أي سقط وهلك فقد هوت أمه حزنًا وثكلاً، فكأنه قيل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ فقد هلك.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ قال صاحب الكشاف: (هِيَهْ) ضمير الداهية التي دل عليها قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ في التفسير الثالث: أو ضمير (هَاوِيَةٌ): والهاء للسكت فإذا وصل جاز حذفها، والاختيار الوقف بالهاء لاتباع المصحف والهاء ثابتة فيه، وذكرنا الكلام في هذه الهاء عند قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨].

ثم قال تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ والمعنى أن سائر النيران بالنسبة إليها كأنها ليست حامية، وهذا القدر كاف في التنبيه على قوة سخونتها، نعوذ بالله منها ومن جميع أنواع العذاب، ونسأله التوفيق وحسن المآب: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

تفسير سورة «القارعة»

وهي مكيةٌ بإجماع[٣]. وهي عَشْرُ آياتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: القيامةُ والساعة، كذا قال عامَّةُ المفسِّرين. وذلك أنَّها تقرعُ الخلائقَ بأهوالها وأفزاعها. وأهلُ اللغةِ يقولون: تقولُ العرب: قَرَعَتْهُمُ القارِعةُ، وفَقَرَتْهُمُ الفاقِرة: إذا وقع بهم أمرٌ فظيع. قال ابن أحمر:

وقارعةٍ مِنَ الأيامِ لولا سبيلُهُمُ لزاحَتْ عنك حِينا[٤]

وقال آخر:

متى تَقْرَعْ بمَرْوتِكُم نَسُؤْكُمْ ولم تُوقَدْ لَنَا في القِدْرِ نارُ[٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] وهي الشديدةُ من شدائد الدَّهر.

---

(٣) زاد المسير ٩/ ٢١٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٨.

(٤) اللسان (عزز)، ووقع في (ظ): لراحت.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٢٧.

قوله تعالى: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ استفهامٌ، أي: أيُّ شيء هي القارعة؟ وكذا ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ كلمةُ استفهامٍ على جهةِ التعظيمِ والتفخيم لشأنها، كما قال: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ على ما تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝﴾

«يوم» منصوبٌ على الظَّرف، تقديرُه: تكونُ القارعةُ يومَ يكونُ الناسُ كالفراش المبثوث. قال قتادة: الفراشُ: الطيرُ الذي يتساقطُ في النار والسِّراج[١]. الواحدةُ فراشة، وقاله أبو عبيدة[٢]. وقال الفرَّاء[٣]: إنه الهَمَجُ الطائرُ من بَعوضٍ وغيرِه، ومنه الجراد. ويقال: هو أطيشُ من فراشة؛ قال:

طُوَيِّشٌ مِن نَفَرٍ أَطْياشِ ... أَطْيشُ من طائرةِ الفَراشِ[٤]

وقال آخر:

وقدْ كانَ أقوامٌ رَدَدْتُ قُلوبَهُمْ ... عليهم وكانوا كالفَراشِ من الجَهْلِ[٥]

وفي «صحيح» مسلم عن جابر[٦]، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي ومثَلُكُمْ كَمثَل رجلٍ أَوْقَدَ ناراً، فجعل الجنادِبُ والفَراشُ يَقَعْن فيها، وهو يذُبُّهنَّ عنها، وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النار، وأنتم تَفَلَّتون مِن يَدي». وفي الباب عن أبي هريرة[٧].

والمبثوثُ: المتفرِّقُ. وقال في موضعٍ آخَرَ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٧]. فأوَّل

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٣ .

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٩ ، وفيه: طير لا بعوض ولا ذباب، هو الفراش.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٨٦ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٨ .

(٤) ذكره ابن عادل في اللباب ٢٠/ ٤٧١ .

(٥) البيت للفرزدق، وهو في النقائض ١/ ١٣٠ ، ومنتهى الطلب ٥/ ٣١١ برواية:

وحولكَ أقوامٌ رددتُ قلوبَهم ... عليهم فكانوا كالفراش من الجهل

(٦) برقم (٢٢٨٥)، وسلف ١٧/ ٦١ .

(٧) أخرجه أحمد (٧٣٢١) و(٨١١٧)، والبخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، وسلف ١٧/ ٦١ .

حالِهم كالفَراش لا وجهَ له، يَتحيَّر في كلِّ وجهٍ، ثم يكونون كالجراد؛ لأنَّ لها وجهاً تقصِدُه.

والمبثوث: المتفرِّقُ المنتشِر، وإنَّما ذكَّر على اللَّفظ، كقوله تعالى: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر: ٢٠] ولو قال: المبثوثةِ [فهو][1] كقوله تعالى: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧].

وقال ابن عباس والفرَّاء: «كالفراشِ المبثوثِ»: كغَوغاء الجراد، يركبُ بعضُها بعضاً. كذلك الناسُ يجولُ بعضُهم في بعضٍ إذا بُعثوا[2].

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥﴾

أي: الصوف الذي يُنفشُ باليد، أي: تَصيرُ هباءً وتزول، كما قال جلَّ ثناؤه في موضعٍ آخَرَ: ﴿هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ [الواقعة: ٦]. وأهلُ اللغة يقولون: العِهنُ: الصوفُ المصبوغ. وقد مضى في سورة «سَألَ سائلٌ»[3].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾

قد تقدَّم القولُ في المِيزان في «الأعراف والكهف والأنبياء»[4]. وأنَّ له كِفَّةً ولساناً توزنُ فيه الصُّحفُ المكتوبُ فيها الحسناتُ والسَّيئات[5]. ثم قيل: إنه ميزانٌ واحدٌ بيد جبريل يَزِنُ أعمالَ بني آدم، فعبَّر عنه بلفظِ الجمع. وقيل: موازين،

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦ ، وسلف عنه قريباً بنحوه، ولم نقف عليه عن ابن عباس.

(٣) عند تفسير الآية (٨) منها.

(٤) ينظر ٩/ ١٥٦ ، و١٣/ ٣٩٣ ، و١٤/ ٢١٢ .

(٥) قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٦٥ : وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن، أو بما جاء عن رسول الله ﷺ، ولم يأت عنه عليه الصلاة والسلام شيء يصح في صفة الميزان.

كما قال:

فـلِـكـلِّ حـادِثـةٍ لَـهـا مِـيـزانُ

وقد ذكرناه فيما تقدَّم(١). وذكرناه أيضًا في كتاب «التذكِرة»(٢).

وقيل: إنَّ الموازين: الحُجَجُ والدلائل؛ قاله عبد العزيز بن يحيى، واستشهد بقول الشاعر:

قَـد كُـنـتُ قـبـلَ لـقـائـكـم ذا مِـرَّةٍ عِـنـدي لـكُـلِّ مـخـاصِـمٍ مِـيـزانُـهُ(٣)

ومعنى «عِيشةٍ راضِيةٍ»، أي: عيشٍ مَرْضيٍّ، يرضاه صاحبُه.

وقيل: «عيشةٍ راضِيةٍ» أي: فاعلة للرضا، وهو اللِّينُ والانقيادُ لأهلها. فالفعلُ للعيشة لأنها أعطت الرضا مِن نفسِها، وهو اللِّينُ والانقياد. فالعيشةُ كلمةٌ تجمع النِّعَم التي في الجنة، فهي فاعلةٌ للرضا، كالفُرُش المرفوعة، وارتفاعُها مقدارُ مئةِ عام، فإذا دنا منها وليُّ اللهِ اتَّضَعتْ حتى يستويَ عليها، ثم ترتفعُ كهيئتها، ومثل الشجرة فروعها، كذلك أيضاً من الارتفاع، فإذا اشتهى وليُّ اللهِ ثمرتَها تَدلَّتْ إليه، حتى يتناولها وليُّ الله قاعداً وقائماً، وذلك قولُه تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣]. وحيثما مشى أو تَنقَّل من مكانٍ إلى مكان، جرى معه نهرٌ حيث شاء، عُلُوًّا وسُفْلًا، وذلك قولُه تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٦]. فيُروَى في الخبر: أنه يشير بقضيبه فيجري من غير أخدودٍ حيث شاء من قصوره وفي مجالسه(٤). وهذه(٥) الأشياءُ كلُّها عيشةٌ قد أَعْطَتِ الرِّضا من نفسها، فهي فاعلةٌ للرضا، وهي انذلَّتْ وانقادَتْ بذْلاً وسماحة.

---

(١) ١٤/ ٢١١، وصدره: ملك تقوم الحادثات لعدله.

(٢) ص ٣٢٠.

(٣) سلف ١٢/ ١٩١، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣١٨ - ٣١٩.

(٤) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٣٣٩.

(٥) في (م): فهذه.

ومعنى ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ يعني جَهَنَّم. وسمَّاها أُمًّا، لأنَّه يأوي إليها كما يأوي إلى أمِّه؛ قاله ابن زيد[١]. ومنه قولُ أميةَ بنِ أبي الصَّلْت:

فالأرضُ مَعْقِلنا وكانتْ أُمَّنا فيها مَقابِرُنا وفيها نُولَدُ[٢]

وسمِّيتِ النارُ هاوية، لأنه يهوِي فيها مع بُعْدِ قَعْرِها. ويُروَى أنَّ الهاوية اسمُ البابِ الأسفلِ من النار.

وقال قتادة: معنى «فأمُّه هاوِية»: فمصيرُه إلى النار[٣]. عكرمةُ: لأنه يهوي فيها على أمِّ رأسه[٤]. الأخفش: «أمُّه»: مستقَرُّه، والمعنى متقارِبٌ. وقال الشاعر:

يا عمرو لو نالَتْكَ أرماحُنا كنتَ كَمَن تهوي به الهاوِيَهْ[٥]

والهاوية: المَهْواة. وتقول: هَوَتْ أمُّه، فهي هاوية، أي: ثاكِلَة، قال كعب بن سعد الغَنَوِيُّ:

هَوَتْ أُمُّه ما يبعثُ الصبحُ غاديا وماذا يؤدِّي الليلُ حين يَؤُوبُ[٦]

والمهوى والمَهْوَاة: ما بين الجبلين، ونحو ذلك. وتهاوَى القومُ في المَهْواة: إذا سقط بعضُهم في إثر بعض[٧].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٦ .

(٢) ديوان أمية ص ٥٢ ، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ .

(٣) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٥ .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥ .

(٥) البيت لعمرو بن مِلْقَط شاعر جاهلي، كما في النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ص ٦٢ ، والخزانة ٩/ ٢١ ، وبلا نسبة في الصحاح (هوى). ووقع في النوادر والخزانة: يا أوس لو نالتك... وأوس هو ابن حارثة بن لأم الطائي، كما ذكر البغدادي.

(٦) الأصمعيات ص ٩٥ ، وأمالي القالي ٢/ ١٥٠ ، والصحاح (هوى)، والكلام منه، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٤ ، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٩٠ ، والخزانة ١٠/ ٤٣٥ . والبيت من قصيدة في رثاء أبي المغوار الغنوي، وقوله: ما يبعث الصبح...، يريد أن هذين الوقتين يجددان ذكره ويثيران الحزن عليه؛ لأن الصباح وقت الغارة، والليل وقت طروق الضيفان. سمط اللآلي ٢/ ٧٧٣ .

(٧) الصحاح (هوى).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ الأصلُ: «ما هي»، فدخلت الهاءُ للسَّكْت. وقرأ حمزةُ والكسائيُّ ويعقوبُ وابن مُحيصن: «ما هيَ» بغير هاءٍ في الوصل، ووقفوا بها(١). وقد مضى في سورة الحاقَّةِ بيانُه(٢).

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ أي: شديدةُ الحرارة. وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «نارُكم هذه التي يُوقِدُ ابنُ آدمَ جزءٌ من سبعين جزءًا من حرِّ جهنَّم» قالوا: والله إنْ كانت لكافيةً يا رسول الله! قال: «فإنَّها فُضِّلَتْ عليها بتسعةٍ وستِّين جزءًا، كلُّها مثلُ حرِّها»(٣).

ورُوي عن أبي بكرٍ ﷺ أنه قال: إنَّما ثَقُلَ ميزانُ مَن ثَقُلَ ميزانُه، لأنَّه وُضع فيه الحقُّ، وحُقَّ لميزانٍ يكونُ فيه الحقُّ أن يكون ثقيلاً. وإنَّما خفَّ ميزانُ مَن خفَّ ميزانُه، لأنَّه وُضع فيه الباطلُ، وحُقَّ لميزانٍ يكون فيه الباطلُ أن يكون خفيفاً.(٤)

وفي الخبر عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ الموتى يَسألون الرجلَ يأتيهم عن رجلٍ مات قَبْلَه، فيقول: ذلك مات قبلي، أمَا مرَّ بكم؟ فيقولون: لا والله، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! ذُهِب به إلى أمِّه الهاوية، فبِئْسَتِ الأمُّ، وبئستِ المُرَبِّيةُ». وقد ذكرناه بكماله في كتاب «التذكرة»(٥)، والحمد لله.

---

(١) التيسير ص ٢٢٥ ، والنشر ٢/ ١٤٢ عن حمزة ويعقوب، والمشهور عن الكسائي إثبات الهاء في الحالين.

(٢) عند تفسير الآية (١٩) منها.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٤٣)، وهو عند أحمد (٨١٢٦)، والبخاري (٣٢٦٥)، وسلف عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الواقعة.

(٤) قطعة من وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، والخبر أخرجه بنحوه مطولاً ابن المبارك في الزهد (٩١٤)، وهناد في الزهد (٤٩٦)، وابن أبي شيبة ١٣/ ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٥) ص٥٥ ، وأخرجه الثعلبي كما ذكر المصنف ثمة. وفي الباب عن أبي أيوب ﷺ عند ابن المبارك في الزهد (٤٤٣).

سُورَةُ القَارِعَةِ

مكيَّةٌ، وآيُها عشرٌ[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ سبقَ بيانُه في الحاقَّةِ.

(٤) ـ ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ في كَثْرَتِهم وذِلَّتِهم وانتِشَارِهم واضطِرَابِهم، وانتصابُ ﴿يَوْمَ﴾ بمُضْمَرٍ دلَّتْ عليهِ ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾.

(٥) ـ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصُّوفِ ذي الألوانِ ﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾: المَنْدُوفِ؛ لتفرُّقِ أَجزائِها وتطايُرِها في الجوِّ.

(٦ ـ ٧) ـ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأَنْ تَرجَّحَتْ مَقاديرُ أَنْواعِ حَسَناتِهِ ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ﴾: في عيشٍ ﴿رَّاضِيَةٍ﴾: ذاتِ رِضًا، أي: مَرضيَّةٍ[2].

---

(١) في نسخة الخيالي: «مكية وهي عشر آيات»، وفي نسخة الطبلاوي: «وآيها عشر آيات». قال الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٨٥): هي ثمان آيات في البصري والشامي وعشر في المدنيين والمكي وإحدى عشرة في الكوفي.

(٢) قال الشهاب: قوله: «ذات رضا» على أنها للنسب كلابن وتامر فلذا فسرها بقوله: «أي مرضية» لأنّ المرضية ذاتُ رضاً، وفي نسخة: «أو مرضية» فهو إشارة إلى أنه إسناد مجازي أو استعارة مكنية وتخييلية كما قرِّر في كتب المعاني، أو هي بمعنى المفعول على التجوُّز في الكلمة نفسها.

(٨) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأَنْ لَمْ يَكُن لهُ حسنةٌ يُعبأُ بها، أو ترجَّحَتْ سَيِّئاتُه على حسناتِه.

(٩ ـ ١١) ـ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: فمأواه النَّارُ، والهاوِيَةُ مِن أَسمائِها، ولذلك قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾: ذاتُ حَمًى.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرَأَ القارعةَ ثقَّلَ اللهُ بها مِيزانَهُ يومَ القيامَةِ»(١).

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٩٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

(١٠١) سُورَةُ القَارِعَةِ مَكِّيَّة
وآياتها إحدى عشرة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ
ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَاهِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

القارعة من أسماء يوم القيامة، كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك. ثم قال تعالى معظماً أمرها ومهولاً لشأنها ﴿وما أدراك ما القارعة﴾؟ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم، من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث، كما قال تعالى: ﴿كأنهم جراد منتشر﴾، وقوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ يعني صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق، قال مجاهد: ﴿العهن﴾ الصوف، ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم، فقال: ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ أي رجحت حسناته على سيئاته، ﴿فهو في عيشة راضية﴾ يعني في الجنة، ﴿وأما من خفت موازينه﴾ أي رجحت سيئاته على حسناته. ﴿فأمه هاوية﴾ **قيل**: معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم، وعبّر عنه بأمه يعني (دماغه)، قال قتادة: يهوي في النار على رأسه، **وقيل**: معناه فأمه التي يرجع إليها ويصير في المعاد إليها ﴿هاوية﴾ وهي اسم من أسماء النار، قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها، وقال ابن زيد: الهاوية النار هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿ومأواهم النار﴾. وروي عن قتادة أنه قال: هي النار وهي مأواهم، ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية: ﴿وما أدراك ما هيه * نار حامية﴾، روى ابن جرير عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: روّحوا أخاكم، فإنه كان في غم الدنيا. قال: ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول: مات أوما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية[1]، وقوله تعالى: ﴿نار حامية﴾ أي حارة شديدة الحر، قوية اللهب والسعير، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية؟ فقال: «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً»[2]. وفي رواية: «كلهن مثل حرها». وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد»[3]. وروى الترمذي وابن ماجة، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة»[4]. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في الصيف من حرها»[5]. وفي الصحيحين: «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم».

[آخر تفسير سورة القارعة. ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن جرير.
(٢) أخرجه مالك ورواه البخاري ومسلم بنحوه.
(٣) أخرجه الإمام أحمد.
(٤) أخرجه الترمذي وابن ماجة.
(٥) أخرجاه في الصحيحين.

تفسير سورة القارعة

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾ .

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ : من أسماء يوم القيامة ، كالحاقة ، والطامة ، والصاخة ،والغاشية ، وغير ذلك .

ثم قال معظماً أمرها ومهولا لشأنها : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ؟ ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ أى : فى انتشارهم وتفرقهم ، وذهابهم ومجيئهم ، من حيرتهم مما هم فيه ، كأنهم فراش مبثوث (١) ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر: ٧].

وقوله : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ يعنى : قد صارت كأنها الصوف المنفوش ، الذى قد شرَع فى الذهاب والتمزق .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ،والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراسانى ، والضحاك ، والسدى : ﴿الْعِهْنِ ﴾ : الصوف .

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين ، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة ، بحسب أعمالهم ، فقال : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى : رجحت حسناته على سيئاته ، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ يعنى : فى الجنة . ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى : رجحت سيئاته على حسناته .

وقوله : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ قيل : معناه : فهو ساقط هاو بأم رأسه فى نار جهنم . وعَبَّر عنه بأمه ـ يعنى (٢) دماغُه ـ رُوى نحو هذا عن ابن عباس ،وعكرمة ،وأبى صالح ، وقتادة ـ قال قتادة : يهوى فى النار على رأسه (٣) . وكذا قال أبو صالح : يهوون فى النار على رؤوسهم .

وقيل : معناه : ﴿ فَأُمُّهُ ﴾ التى يرجع إليها ، ويصير فى المعاد إليها ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾ ، وهى اسم من أسماء النار .

قال ابن جرير : وإنما قيل : للهاوية أمه ؛ لأنه لا مأوى له غيرها (٤) .

---

(١) فى أ : « منتشر » . (٢) فى م : « وهو » . (٣) فى م : « على رؤوسهم » .
(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٣) .

وقال ابن زيد : الهاوية : النار ، هى أمه ومأواه التى يرجع إليها ويأوى إليها ، وقرأ : ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [آل عمران: ١٥١] .

قال ابن أبى حاتم : وروى عن قتادة أنه قال : هى النار ، وهى مأواهم . ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى : حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : رَوِّحُوا أخاكم ، فإنه كان فى غَمّ الدنيا . قال : ويسألونه : ما فعل فلان (١) ؟ فيقول : مات ، أو ما جاءكم ؟ فيقولون : ذُهب به إلى أمه الهاوية (٢) .

وقد رواه ابن مَرْدَوَيْه من طريق أنس بن مالك مرفوعاً ، بأبسط من هذا . وقد أوردناه فى كتاب صفة النار ، أجارنا (٣) الله منها بمنه وكرمه (٤) .

وقوله : ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أى : حارة شديدة الحر ، قوية اللهيب والسعير .

قال أبو مصعب ، عن مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة : أن النبى ﷺ قال: « نار بنى آدم التى تُوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم » . قالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية . فقال : « إنها فُضّلَت عليها بتسعة وستين جُزءاً » (٥) .

ورواه البخارى ، عن إسماعيل بن أبى أويس ، عن مالك . ورواه مسلم عن قُتيبة ، عن المغيرة ابن عبد الرحمن ، عن أبى الزِّناد ، به(٦) . وفى بعض ألفاظه : « إنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلهن مثل حرّها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ،حدثنا حماد ـ وهو ابن سلمة ـ عن محمد بن زياد ـ سمع (٧) أبا هريرة يقول : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : « نار بنى آدم التى توقدون ، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » . فقال رجل : إن كانت لكافية . فقال : « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حَراً فحرا » (٨) .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم .

---

(١) فى م ، أ : « بفلان » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٢) .

(٣) فى أ : « أعاذنا » .

(٤) قال السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٦٠٦) : « وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه:ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة؟ فإن كان مات ولم يأتهم قالوا : خولف به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية حتى يقولوا : ما فعل فلان هل تزوج ؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت ؟ فيقولون : دعوه فيستريح فقد خرج من كرب الدنيا » .

(٥) الموطأ برواية الزهرى برقم (٢٠٩٨) وهو فى رواية يحيى (٢/ ٩٩٤) .

(٦) صحيح البخارى برقم (٣٢٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .

(٧) فى م ، أ : « سمعت » .

(٨) المسند (٢/ ٤٦٧) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا سفيان ، عن أبى الزياد [١] ، عن الأعرج ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ ـ وعمرو ، عن يحيى بن جَعْدة ـ : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت [٢] بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد» [٣] .

وهذا على شرط الصحة [٤] ، ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وقد رواه مسلم فى صحيحه من طريق [ابن أبى الزناد] [٥] [٦] .

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً » [٧] .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا [٨] عبد العزيز ـ هو ابن محمد الدراوردى ـ عن سُهَيل عن أبيه ،عن أبى هُريرة ،عن النبى ﷺ قال : « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » [٩] .

تفرد به أيضاً من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم أيضا .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا مَعْن بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عَمّه أبى سُهَيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً » [١٠].

وقد رواه أبو مصعب ، عن مالك ، ولم يرفعه . وروى الترمذى وابن ماجة ، عن عباس الدُّورىّ ، عن يحيى ابن أبى بُكَيْر : حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة » [١١] .

وقد روى هذا من حديث أنس [١٢] وعمر بن الخطاب .

---

(١) فى أ : « عن أبى الزناد » . (٢) فى أ : « وضرمت » .

(٣) المسند (٢/ ٢٤٤) .

(٤) فى م ، أ : « على شرط الصحيحين » . (٥) زيادة من م .

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .

(٧) أما حديث ابن مسعود ، فهو فى مسند البزار برقم (١٨٦٤) من طريق عبيد بن إسحاق ، عن زهير ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ،رضى الله عنه ، وقال البزار : « هكذا رواه زهير ولا نعلم رواه عن زهير إلا عبيد بن إسحاق . ورواه عمرو بن ثابت ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو الأصم ، عن عبد الله ، عن النبى ﷺ نحوه ، ورواه غير عمرو ابن ثابت ، عن أبى إسحاق ، عمرو الأصم ، عن عبد الله موقوفاً » . وأما حديث أبى سعيد ، فقد رواه أيضاً الترمذى فى السنن برقم (٢٥٩٠) من طريق فراس ، عن عطية ، عن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ وقال الترمذى : «هذا حديث حسن غريب » .

(٨) فى أ : « بن » .

(٩) المسند (٢/ ٣٧٩) .

(١٠) المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٣) « مجمع البحرين » وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٨٧) : « رجاله رجال الصحيح » .

(١١) سنن الترمذى برقم (٢٥٩١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٣٢٠) وقال الترمذى : « حديث أبى هريرة فى هذا موقوف أصح ، ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن بكير عن شريك » .

(١٢) حديث أنس رواه ابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان من طريق مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعاً ، وقد تقدم عند تفسير الآية : ٨١ من سورة التوبة .

وجاء فى الحديث ـ عند الإمام أحمد ـ من طريق أبى عثمان النَّهدى ، عن أنس ـ وأبى نضرة العَبْدىّ ، عن أبى سعيد وعَجْلان مولى المُشْمَعِّل ، عن أبى هريرة ـ عن النبى ﷺ أنه قال : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلى منهما دماغه » [١] .

وثبت فى الصحيح [٢] أن رسول الله ﷺ قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضى بعضاً ، فأذن لها بنَفَسين : نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف . فأشد ما تجدون فى الشتاء من بردها ، وأشد ما تجدون فى الصيف من حرها » [٣] .

وفى الصحيحين : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فَيح جَهَنم » [٤] .

آخر تفسير سورة « القارعة »

(١) حديث أبى سعيد فى المسند (٣/١٣) وحديث أبى هريرة فى المسند (٢/٤٣٢) .

(٢) فى م : « فى الصحيحين » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٣٢٦٠) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٣٣) وصحيح مسلم برقم (٦١٥) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

سورة القارِعة

مكّيّة، وهي إحدى عشرةَ آيةً.[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ القرع هو الضرب بشدّة واعتمادٍ بحيث يحصل منه صوت شديد، وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مرّ في سورة التكوير،[2] سُمّيت بها لأنّها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال، وتُخرج جميع الأجرام العُلويّة والسفليّة مِن حال إلى حال: السماءَ بالانشقاق والانفطار، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار، والأرض والجبال بالدكّ والنسف.

وهي مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: أنّ ﴿مَا﴾ الاستفهاميّة خبر و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ مبتدأ، لا بالعكس لِما مرّ غيرَ مرة أنّ محطّ الإفادة هو الخبر لا المبتدأ، ولا ريبَ في أنّ مدار إفادةِ الهَول والفخامة ههنا هو كلمة ﴿مَا﴾، لا ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، أي: أيّ شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة، وقد وُضِع الظاهر موضعَ الضمير تأكيدًا للتهويل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تأكيد لهَولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق، على معنى أنّ عِظَم شأنها ومدى شدّتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتّى يُدريك بها، وما في حيّز الرفع على الابتداء، و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ هو الخبر، ولا سبيلَ إلى العكس ههنا.

---

[1] س: وهي ثمان آيات.

[2] في تفسير الآية الرابعة عشرة منها.

[٣١٦ظ] و﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ جملة كما مرّ محلُّها النصب على نزع الخافض؛ / لأنّ "أدرى" يتعدّى إلى المفعول الثاني بـ"الباء"، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس، ١٠/١٦]، فلمّا وقعت الجملة الاستفهاميّة معلّقةً له كانت في موقع المفعول الثاني له، والجملة الكبيرة[١] معطوفة على ما قبلها مِن الجملة الواقعة خبرًا للمبتدأ الأول، أي: وأيُّ شيء أعلمكَ ما شأن القارعة؟

ولمّا كان هذا منبِئًا عن الوعد الكريم بإعلامها أُنجِز ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾، على أنّ ﴿يَوْمَ﴾ مرفوعٌ على أنّه خبرُ مبتدأ محذوف، وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل، وإن كان مضارعًا كما هو رأي الكوفيّين،[٢] أي: هي يومَ يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلّة والاضطراب والتطايُر إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار، أو منصوبٌ[٣] بإضمار "اذكُرْ"، كأنّه قيل: بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه السلام إلى معرفتها: اذكُرْ يومَ يكون الناس... إلخ، فإنّه يُدريك ما هي.

هذا وقد قيل: إنّه ظرف، ناصبُه مضمر يدلّ عليه ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، أي: تقرع يوم يكون... إلخ.[٤] وقيل: تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون... إلخ.[٥]

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ أي: كالصوف المُلوَّن بالألوان المختلفة المندوف في تفرّق أجزائها وتطايرها في الجوّ حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل، ٢٧/٨٨]، وكلا الأمرين مِن آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حَشْر الخلق، يبدِّل الله عزّ وجلّ الأرض غيرَ الأرض، ويغيّر هيئاتها، ويسيّر الجبال عن مقارّها، على ما ذُكر مِن الهيئة الهائلة، ليُشاهدها أهل المحشَر، وهي وإن اندكّت وتصدّعت عند النفخة الأولى لكنّ تسييرها وتسويةَ الأرض إنّما يكونان بعد النفخة الثانية، كما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا

---

١ س: الكبير.

٢ انظر قولهم وتفصيله في شرح الرضيّ على الكافية ١/٢٤٩.

٣ السياق: مرفوعٌ... أو منصوبٌ...

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٩٧.

٥ القول في اللباب لابنْ عادل، ٢٠/٤٧٠.

وَلَآ أَمۡتٗا ۞ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ [طه، ٢٠/١٠٥-١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم، ١٤/٤٨]، فإنّ اتّباع الداعي الذي هو إسرافيلُ عليه السلام وبروزَ الخَلْق لله سبحانه لا يكون إلّا بعد البعث قطعًا، وقد مرّ تمام الكلام في سورة النمل.[1]

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۞ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۞ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۞﴾

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾... إلخ بيانٌ إجمالي لتحزّب الناس إلى حزبين، وتنبيهٌ على كيفيّة الأحوال الخاصّة بكلّ منهما إثرَ بيان الأحوال الشاملة للكلّ. والموازين: إمّا جمع المَوزون، وهو العمل الذي له وزنٌ وخَطَر عند الله تعالى،[2] كما قاله الفرّاء،[3] أو جمع "مِيزان"، قال ابن عبّاس: إنّه ميزان له لسان وكفّتان، لا يوزن فيه إلّا الأعمال.[4] قالوا: تُوضَع فيه صحائف الأعمال، فينظر إليه الخلائق إظهارًا للمعدلة، وقطعًا للمعذرة. وقيل: الوزن عبارة عن القضاء السويّ، والحكم العادل، وبه قال مجاهدٌ والأعمشُ والضحّاك، واختاره كثير مِن المتأخِّرين.[5]

قالوا: إنّ المِيزان لا يتوصّل به إلّا إلى معرفة مقادير الأجسام، فكيف يمكن أن يُعرَف به مقاديرُ الأعمال التي هي أعراض متقضِّية. وقيل: إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرَضيّة تبرُز في النشأة الآخرة بصور جوهريّة مناسبة لها في الحُسن والقبح،[6] وقد رُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه يُؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة، وبالأعمال السيّئة على صور قبيحة،

---

١ في تفسير الآية الثامنة والثمانين منها.

٢ س - تعالى.

٣ القول في اللباب لابن عادل، ٢٠/٤٧٢؛ ولم أقف عليه في معاني القرآن.

٤ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ١٠/٦٩ (الأعراف، ٧/٨)؛ وشعب الإيمان للبيهقي، ١/٤٤٧ (٢٧٧)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٢/٣٥٠ (الأعراف، ٧/٨)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٣/٢١٤ (الأعراف، ٧/٨).

٥ الكلام بلفظ جدّ قريب في تفسير الرازي، ١٤/٢٠٢ (الأعراف، ٧/٨)؛ ونقله عنه الطِّيبي في فتوح الغيب، ٦/٣٣٠ (الأعراف، ٧/٨).

٦ الكلام بمعناه في تفسير الرازي، ١٤/٢٠٢ (الأعراف، ٧/٨).

فتُوضَع في المِيزان،[١] أي: فمَن ترجّحت مقادير حسناته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: ذات رضًى، أو مرضيّة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن لم يكن لها حسنة يُعتدّ بها، أو ترجَّحت سيّئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ أي: فمأواه ﴿هَاوِيَةٌ﴾ هي مِن أسماء النار، سُمّيت بها لغاية عُمقها وبُعد مهواها.[٢] رُوي أنّ أهل النار يهوي فيها سبعين خريفًا.[٣]
[٣١٧ظ] / وقيل: إنّها اسم للباب الأسفل منها، وعُبِّر عن المأوى بـ"الأمّ"؛ لأنّ أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمّه. وعن قتادةَ وعكرمةَ والكلبيّ أنّ المعنى: فأمّ رأسه هاوية في قعر جهنّم؛ لأنّه يُطرَح فيها منكوسًا.[٤]

والأوّل هو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ فإنّه تقرير لها بعد إبهامها. والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل، وهي ضمير الهاوية، والهاء للسكت، وإذا وصل القارئ حذفها. وقيل: حقّه ألّا يدرج لئلّا يُسقطها الإدراج؛ لأنّها ثابتة في المصحف، وقد أجيزَ إثباتها مع الوصل.[٥]

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة القارعة ثقّل الله تعالى بها ميزانه[٦] يوم القيامة».[٧]

---

١ لم أجِده في مظانّه. وهو في تفسير الرازي، ٢٠٢/١٤ (الأعراف، ٧/٨).

٢ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٨/٤.

٣ بلفظ قريب في مسند أحمد، ١٤٩/١٢ (٧٢١٥)؛ وصحيح مسلم، ٢١٨٤/٤ (٢٨٤٤)؛ وسنن الترمذي، ٥٥٧/٤ (٢٣١٤).

٤ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٥٩٦/٢٤؛ والتفسير البسيط للواحدي، ٢٦٨/٢٤؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٥١٤/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٩٨/٤.

٥ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٩٨/٤.

٦ م س: ميزانها ["صح" في هامش م].

٧ س + تمّ. | الكشف والبيان للثعلبي، ١٩٤/٣٠ (القارعة، ١/١٠١)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٤٦/٤ (القارعة، ١/١٠١)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٩٨/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

١٠١

سُورَةُ القَارِعَةِ

مكية، إحدى عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿القارِعةُ﴾ أي: القِيامةُ التي تقرع القُلوب بأهوالها، ٢ ـ ﴿ما القارِعةُ﴾؟ تهويلٌ لشأنها. وهما مُبتدأ وخبرٌ: خبرُ القارعة. ٣ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلمَكَ: ﴿ما القارِعةُ﴾؟ زيادةُ تهويل لها. و«ما» الأُولى: مبتدأ وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها: في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى».

٤ ـ ﴿يَومَ﴾: ناصبُه دلّ عليه «القارعةُ» أي: تَقرعُ، ﴿يَكُونُ النّاسُ كالفَراشِ المَبثُوثِ﴾: كغَوغاء الجراد المُنتشر يموج بعضهم في بعض للحَيرة إلى أن يُدعَوا للحِساب، ٥ ـ ﴿وتَكُونُ الجِبالُ كالعِهنِ المَنفُوشِ﴾: كالصوف المندوف في خِفّة سيرها حتّى تستوي مع الأرض:..........

سُورَةُ القَارِعَةِ

قولُهُ: (و﴿مَا﴾ الأُولَى) سبقَ بيانُهُ في الحاقّةِ[1].

قولُهُ: (كَغَوغَاءِ الجَرَادِ) الغَوغاءُ: الجَرادُ بعد أن ينبُتَ شعرُهُ[2]، يعني: في كثرَتِهم وذِلَّتِهم وانتشارِهم واضطِرابِهم.

قولُهُ: (كالصُّوفِ) ذي الألوانِ.

قولُهُ: (المَندُوفِ) لتفرُّقِ أجزائِها، وتطايُرِها في الجوِّ.

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ٣].

(٢) الصواب: ينبت جناحه، انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٨٦)، و«تاج العروس» (٢٢/ ٥٤١).

٦ ـ ﴿فأمّا مَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾ بأن رَجَحتْ حسناته على سيّئاته ٧ ـ ﴿فهُوَ في عِيشةٍ راضِيةٍ﴾ في الجنّة، أي: ذاتِ رِضًا بأن يرضاها أو مَرْضيّةٍ له، ٨ ـ ﴿وأمّا مَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ بأن رَجَحت سيّئاته على حسناته ٩ ـ ١٠ ـ ﴿فأُمُّهُ﴾: فمَسكنُه ﴿هاوِيةٌ. وما أدراكَ: ماهِيَهْ﴾ أي: ما هاوية؟ ١١ ـ هي ﴿نارٌ حامِيةٌ﴾: شديدة الحرارة. وهاء «هِيه» للسكت تثبتُ وصلاً ووقفًا، وفي قِراءةٍ تُحذف وصلاً.

قولُهُ: (حَسنَاتُهُ) أي: مقاديرُ أنواعِ حسناتِهِ.

قولُهُ: (أي: ذَاتِ رِضًى) فاعِلَةٍ للنِّسبَة.

قولُهُ: (أي: مَرضِيَّةٍ) الظَّاهرُ: أو، فاعِلةٍ بمعنى: مفعولةٍ.

قولُهُ: (بأَن رَجَحَت) أو لم يكُنْ له حسَنةٌ يُعبَأ بها.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزَةَ[1]، والله تعالى أعلمُ.

* * *

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٤٥).

سورة القارعة

مكيةٌ بلا خلاف. وآيُها إحدى عَشْرةَ آيةً في الكوفي، وعشرةٌ في الحجازي، وثمانٍ في البصريِّ والشاميِّ[1]. ومناسبتها لِمَا قبلها أظهر من أن تذكر.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ الجمهور على أنَّها القيامة نفسُها، ومبدؤُها النفخة الأولى، ومنتهاها فصلُ القضاء بين الخلائق.

وقيل: صوتُ النفخة.

وقال الضحاك: هي النار ذات التغيُّظ والزَّفير. وليس بشيء.

وأيًّاما كان فهي من القَرْع، وهو الضرب بشدَّة بحيث يحصل منه صوتٌ شديدٌ. وقد تقدَّم الكلامُ فيها، وكذا ما يُعلم منه إعراب ما ذكر في الكلام على قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾[2] [الحاقة: ١-٣].

وقرأ عيسى: «القارعةَ» بالنصب. وخُرِّج على أنه بإضمار فعلٍ، أي: اذكر القارعةَ[3].

---

(١) في هامش الأصل: اختلافها ثلاث: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١﴾ الأولى كوفي. ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ و﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ كلتاهما حجازي كوفي. كذا في «المجمع». اهـ. وهو في مجمع البيان ٢١٦/٣٠.

(٢) ينظر ما سلف عند تفسير هذه الآيات.

(٣) البحر ٥٠٦/٨.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ قيل أيضاً: منصوبٌ بإضمار: اذكر، كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها: اذْكُر يومَ يكون الناس.. إلخ، فإنَّه يُدريك ما هي.

وقال الزمخشريُّ: ظرفٌ لمضمَر دلَّت عليه «القارعة»، أي: تَقْرَع يوم[١].

وقال الحوفي: ظرفُ «تَأتِي» مقدَّراً[٢]. وبعضهم قدَّر هذا الفعل مقدَّماً على «القارعة»، وجَعَلها فاعلاً له أيضاً.

وقال ابن عطية: ظرفٌ لـ «القارعة» نفسها من غير تقديرٍ[٣]. ولم يبيِّن أيَّ القوارع أراد. وتعقَّبه أبو حيان بأنه إن أراد اللفظَ الأول ورد عليه الفصلُ بين العامل ـ وهو في صلة «أل» ـ والمعمول بالخبر، وهو لا يجوز، وإن أراد الثاني أو الثالثَ فلا يلتئم معنى الظرف معه[٤]. ولذا لا يجوز التعلُّق بـ «القارعة» إذا كانت عَلَماً للقيامة.

وقال بعض الأجلة[٥]: إذا تعلَّق بالثاني وقيل ما بينهما اعتراض لم يمنع منه مانع، ودعوى عدمِ الالتئام غيرُ مسلَّمة. وكأنه لم يعتبر العلَّمية.

وقال في «الإرشاد»[٦]: هو مرفوعٌ على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوف، والفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأي الكوفيين، أي: هي يوم يكون.. إلخ[٧]. وأيِّد بقراءة زيد بن علي: «يومُ» بالرفع على ذلك[٨]، وقدّر بعضهم المبتدأ: وَقْتُها.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٧٩.
(٢) البحر ٨/ ٥٠٦.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٥١٦.
(٤) البحر ٨/ ٥٠٦.
(٥) القائل هو الشهاب في حاشيته ٨/ ٣٩٣.
(٦) ٩/ ١٩٣.
(٧) الكلام من: ولذا لا يجوز التعلق... إلى هنا، ساقط من (م).
(٨) البحر ٨/ ٥٠٦.

و«الفَراش» قال في «الصحاح»: جمعُ فَراشة؛ التي تطير وتَهافَتُ في النار[١]. وهو المرويُّ عن قتادة[٢].

وقيل: هو طيرٌ رقيقٌ يقصد النارَ ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق.

وقال الفراء: هو غوغاء الجراد الذي ينتشر في الأرض ويركب بعضُه بعضاً من الهَوْل[٣].

وقال صاحب «التأويلات»: اختلفوا في تأويله على وجوه، لكن كلُّها ترجع إلى معنًى واحدٍ، وهو الإشارة إلى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم[٤].

واختار غير واحد ما روي عن قتادة، وقالوا: شُبِّهوا في الكثرة والانتشار والضَّعف والذِّلة، والمجيء والذهابِ على غير نظام، والتطايُرِ إلى الداعي من كلِّ جهة حين يدعوهم إلى المحشر، بالفراش المتفرِّق المتطاير؛ قال جرير[٥]:

إنَّ الفرزدقَ ما علمتَ وقومَه ... مثلُ الفَراش غَشِين نارَ المُصْطَلي

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ أي: الصوفِ مطلقاً، أو المصبوغِ كما قيَّده الراغب به[٦]، وقد تقدَّم الكلام فيه في «المعارج»[٧]. و«كان» بمعنى: صار، أي: وتَصِير جميعُ الجبال كالعِهْن ﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾ المفرَّق بالأصبع ونحوها في تفرُّق أجزائها وتطايُرِها في الجوِّ حسبما ينطق به غير آية.

---

(١) الصحاح (فرش).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٩٣.
(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٧٦.
(٤) تأويلات أهل السنة ٥/ ٥١١.
(٥) البيت في الكشاف ٤/ ٢٧٩، والبحر ٨/ ٥٠٦، والدر المصون ١١/ ٩٥، وفتح الباري ٨/ ٧٢٨، وهو في ديوان جرير ص٩٢٣، والشطر الأول فيه برواية: أزرى بحلمكم الفِياش فأنتم. والفِياش: بالكسر: الرخاوة والضَّعف. تاج العروس (فيش).
(٦) في المفردات (عهن).
(٧) عند تفسير الآية (٩).

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦﴾ إلى آخره بيانٌ إجماليٌّ لتحزُّبِ الناس حزبَينِ، وتنبيهٌ على كيفية الأحوال الخاصَّة بكلٍّ منهما إثرَ بيان الأحوال الشاملة للكلِّ. وهذا إشارةٌ إلى وزن الأعمال، وهو مما يجب الإيمان به حقيقةً ولا يكفَّر منكره، ويكون بعد تطايُر الصُّحُف وأخذِها بالأيمان والشمائل وبعد السؤال والحساب ـ كما ذكره الواحديُّ وغيره، وجزم به صاحب «كنز الأسرار» ـ بميزانٍ له لسانٌ وكفَّتان كإطباق السماوات والأرض، والله تعالى أعلم بماهيته، وقد رُوي القول به عن ابن عباس والحسن البصري[(١)]، وعزاه في «شرح المقاصد» لكثير من المفسرين[(٢)]. ومكانُه بين الجنة والنار كما في «نوادر الأصول»[(٣)]، وذَكَر: يتقبَّل به العرش[(٤)]، يأخذ جبريل عليه السلام بعموده ناظراً إلى لسانه، وميكائيل عليه السلام أمينٌ عليه[(٥)].

والأشهر الأصحُّ أنه ميزانٌ واحد كما ذكرنا لجميع الأمم ولجميع الأعمال، فقوله تعالى: (مَوَٰزِينُهُۥ) ـ وهو جمعُ ميزان، وأصله: مِوْزَان بالواو لكن قُلبت ياءً لسكونها وانكسارِ ما قبلها ـ قيل: للتعظيم، كالجمع في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣] في وجهٍ، أو باعتبارِ أجزائه نحو: شابت مفارقه. أو باعتبار تعدُّد الأفراد للتغايُر الاعتباريِّ كما قيل في قوله:

لَمَعَانُ بَرقٍ أو شعاعُ شُمُوسِ[(٦)]

وقيل: لكلِّ أمة ميزانٌ.

وقيل: لكلِّ مكلَّفٍ ميزان.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٨، وتفسير أبي السعود ٩/ ١٢٣.
(٢) شرح المقاصد للتفتازاني ٥/ ١٢١.
(٣) لم نقف عليه في مطبوع نوادر الأصول.
(٤) أي: يجعل تجاه العرش، كما ورد ١٧/ ١١٣.
(٥) ينظر في صفة الميزان ما سلف عند تفسير الآية (٨) من سورة الأعراف، وقال ابن حزم في الفِصَل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٦٥: وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن، أو بما جاء عن رسول الله ﷺ. ولم يأت عنه عليه السلام شيء يصحُّ في صفة الميزان.
(٦) وصدره: حمي الحديد عليهم فكأنهم، والبيت للأشتر النخعي، وسلف ١٩/ ٩٣.

وقيل: لكلٍّ موازينُ بعدد أنواع حسناته وأنواع سيئاته. وما هنا ظاهر في ذلك.

وهل هو موجود اليوم أو لا؟ توقَّفَ بعضهم، وبعضُ الأخبار ظاهرٌ في الأول.

وتوزن كتبُ الأعمال على ما ذهب إليه أبو المعالي(١) وجمهور المفسرين، ويؤيِّده حديثُ البطاقة والسجلات(٢). وزعم الرازي على ما نُقل عنه أنَّ فيه حديثاً مرفوعاً(٣).

وقال آخرون: يوزن نفس الأعمال، فتصوَّر الصالحة بصورٍ حسنةٍ نورانيةٍ ثم تُطرح في كفَّة النور، وهي اليمنى المعدَّةُ للحسنات، فتثقل بفضل الله تعالى، وتصوَّر الأعمال السيئة بصُوَر قبيحة ظلمانية ثم تُطرح في كفَّة الظلمة وهي الشمال، فتخفُّ بعدل الله تعالى. وامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات ممنوعٌ، أو مقيَّدٌ ببقاء آثار الحقيقة الأولى.

وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ الله تعالى يخلق أجساماً على عدد تلك الأعمال من غير قلبٍ لها، وادَّعى أنَّ فيه أثراً.

والظاهر أنَّ الثقلَ والخفَّةَ مثلهما في الدنيا فما ثَقُل نزل إلى أسفل ثم يرتفع إلى علِّيِّين، وما خفَّ طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجِّين. وبه صرَّح القرطبيُّ(٤).

وقال بعض المتأخرين: هما على خلافِ ما في الدنيا، وإنَّ عمل المؤمن إذا رَجَحَ صَعِدَ، وثَقُلت سيئاته، وإنَّ الكافر تثقُل كفَّته لخلوِّ الأخرى من الحسنات، ثم تلا: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وفي كونه دليلاً نظرٌ.

وذكر بعضهم أنَّ صفة الوزن أن يجعل جميعُ أعمال العباد في الميزان مرة واحدة، الحسنات في كفَّة النور عن يمين العرش جهةَ الجنة، والسيئات في كفة

---

(١) في الإرشاد ص ٣٢٠.
(٢) أخرجه أحمد (٦٩٩٤) والترمذي (٢٦٣٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وسلف ٩/ ٢٤.
(٣) أورد الرازي في تفسيره ١٤/ ٣٥ حديثاً: سئل رسول الله ﷺ عما يوزن يوم القيامة؟ فقال: «الصحف». اهـ. ولم نقف عليه في المصادر الحديثية.
(٤) في التذكرة ص٣١٢.

الظلمة جهةَ النار، ويخلق الله تعالى لكلِّ إنسان عِلْماً ضروريًّا يُدرك به خفةَ أعماله وثقلَها.

وقيل نحوه، إلا أنَّ علامةَ الرجحان عمودٌ من نورٍ يَثُور من كفَّة الحسنات حتى يكسو كفَّة السيئات، وعلامة الخفَّة عمودُ ظلمةٍ يثور من كفة السيئات حتى يكسو كفَّةَ الحسنات.

فالكيفياتُ أربعٌ، وستظهر حقيقة الحال بالعيان.

وهو، قال القرطبي(١): لا يكون في حقِّ كلِّ أحد لِمَا في الحديث الصحيح فيقال: «يا محمد، أَدْخِل الجنةَ مِن أمتك مَن لا حسابَ عليهم من الباب الأيمن» الحديث(٢)، وأحرى الأنبياء عليهم السلام، وقولِه سبحانه: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] وإنما يبقى الوزن لمن شاء الله تعالى من الفريقين.

وذكر القاضي منذر بن سعيد البلوطي أنَّ أهل الصبر لا توزن أعمالُهم، وإنما يصبُّ لهم الأجر صبًّا(٣).

وذهب بعضهم إلى أنَّ أعمالَ الكفار لا توزن؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٤) [الفرقان: ٢٣]، والظاهر أنه يُدرَج المنافق في الكافر.

والحقُّ أنَّ أعمالهم مطلقاً توزن؛ لظواهر الآيات والأحاديث الكثيرة، والمراد في الآية الأولى: وزناً نافعاً، وفي الثانية: فجعلناه كالهباء في عدم النفع أصلاً، أو المخلص من الخلود في النار(٥).

---

(١) في التذكرة ص٢٦٣، وقوله: وهو، أي: الوزن.
(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) ينظر ما سلف ١٧/ ١١٥.
(٤) الكلام من: وذهب بعضهم... إلى هنا ساقط من (م).
(٥) الكلام من: وفي الثانية... إلى هنا ساقط من (م).

والصحيح أنَّ الجنَّ مؤمنهم وكافرهم كالإنس في هذا الشأن، كما قُرِّر في محلِّه، والتقسيم فيما نحن فيه على ما سمعتَ عن القرطبي بالنسبة إلى مَن توزن أعمالُه، لا بالنسبة إلى الناس مطلقاً.

وأنكر المعتزلة الوزنَ حقيقةً وجماعةٌ من أهل السنة والجماعة، منهم مجاهد والضحاك والأعمش قالوا: إنَّ الأعمال أعراضٌ، إن أمكن بقاؤُها لا يمكن وزنُها، فالوزن عبارةٌ عن القضاء السويِّ والحكم العادل. وجوَّزوا فيما هنا أن تكون الموازين جمعَ مَوْزون، وهو العمل الذي له وزنٌ وخَطرٌ عند الله تعالى، وأنَّ معنى ثقلها رجحانُها[١]. ورُوي هذا عن الفراء، أي: فمن ترجَّحت مقادير حسناته ورُتَبُها ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾ المشهور جَعْلُ ذلك من باب النَّسب، أي: ذات رضاً، وجوِّز أن تكون «راضية» بمعنى المفعول، أي: مَرْضِيَّة، على التجوُّز في الكلمة نفسها، وأن يكون الإسناد مجازيًّا، وهو حقيقةٌ إلى صاحب العِيْشة. وجوِّز أن يكون في الكلام استعارةٌ مكنيةٌ وتخييليةٌ على ما قرِّر في كتب المعاني.

لكن ذَكَر بعض الأجلَّة هاهنا كلاماً نفيساً[٢]، وهو أنَّ ما كان للنسب يؤوَّل بذي كذا، فلا يؤنَّث؛ لأنه لم يَجْر على موصوفٍ فأُلحِق بالجوامد، ونَقَل عن السيرافي أنَّه قال: [إنه] يقدَح فيما علَّلوا به [عدم] سقوط الهاء في «عيشة راضية»، وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون بمعنى أنها رَضِيَتْ أهلَها[٣]، فهي ملازِمةٌ لهم راضيةٌ بهم. والآخر: أن تكون الهاء للمبالغة كعلَّامة وراوية. ووجِّه بأنَّ الهاء لزمت لئلا تسقُط الياء فيخلّ بالبِنية، كناقةٍ مُسْلية[٤]، وكلبة مُجرِيةٍ[٥]، وهم يقولون: ظبيةٌ مُطفِلٌ ومُشْدِنٌ[٦]،

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٧، وتفسير الرازي ٣٢/ ٧٣.
(٢) هو الشهاب في حاشية البيضاوي ٨/ ٣٩٣ وما سيأتي بين حاصرتين منه.
(٣) في (م): راضية أهلها، وهو تصحيف، والمثبت من الأصل وحاشية الشهاب.
(٤) في الأصل و(م): مشلية. والمثبت من حاشية الشهاب ٨/ ٣٩٣.
(٥) كتبت فوقها في الأصل: ذات جَرْو.
(٦) في الأصل و(م): ومشدان، وهو خطأ، والمثبت من حاشية الشهاب، وظبية مُشْدِن، أي: شَدَن ولدها، أي: قوي وطلع قرناه، واستغنى عن أمه، والمطفِل: هي الظبية مع طفلها وهي قريبة عهد بالنتاج، وكذلك الناقة. الصحاح (شدن) و(طفل).

وبابُ مِفعَل ومِفعَال لا يؤنَّث، وقد أدخلوا الهاءَ في بعضه كمِصَكَّة[١]. انتهى.

ثم قال[٢]: إنَّ هذا حقيقٌ بالقبول، ومحصّله: الجوابُ بوجوه:

أحدها: أنَّ «راضية» هنا[٣] ليس من باب النسب، بل هو اسم فاعل أُرِيدَ به لازمُ معناه؛ لأنَّ مَن شاء شيئاً ورضي به لازَمَه، فهو مجازٌ مرسَلٌ أو استعارةٌ، ويجوز أن يراد أنه مجازٌ في الإسناد، وما ذُكر بيانٌ لمعناه.

الثاني: أنَّ الهاء للمبالغة، ولا تختصُّ بـ «فعَّال»، ولذا مثَّل بـ «راوية» أيضاً.

والثالث: أنه يجوز إلحاقُ الهاء في المعتلِّ لحفظ البنية، و«مِصَكّة» إمَّا شاذٌّ أو لتشبيه المضاعف بالمعتلِّ[٤]. انتهى. فاحفظه فإنه نفيسٌ خلا عنه أكثرُ الكتب.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ بأن لم يكن له حسنةٌ يعتدُّ بها، أو ثقلت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ أي: فمأواه، كما قال ابن زيد وغيره[٥] ﴿هَاوِيَةٌ﴾ أريد بها النار، كما يُؤذِن به قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾، فإنَّه تقريرٌ لها بعد إبهامها، والإشعارُ بخروجها عن المعهود للتفخيم والتهويل.

وذُكر أنَّ إطلاقَ ذلك عليها لغاية عمقها وبُعدِ مهواها؛ فقد رُوي أنَّ أهل النار تهوي فيها سبعين خريفاً[٦]. وخصَّها بعضهم بالباب الأسفل من النار.

وعبَّر عن المأوى بالأمِّ على التشبيه بها، فالأمُّ مفزع الولد ومأواه، وفيه تهكُّم به.

---

(١) جاء في هامش الأصل: من الصَّكَّة: شدة الهاجرة. اهـ منه.
(٢) القائل هو الشهاب.
(٣) في (م) زيادة: فيه.
(٤) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٨/ ٣٩٣.
(٥) أخرجه عن ابن زيد وقتادة الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٩٥-٥٩٦.
(٦) أخرج الترمذي (٢٣١٤)، وابن حبان (٥٧٠٦) عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرجلَ ليتكلَّمُ بالكلمة ما يرى بها بأساً، يَهْوِي بها في النار سبعين خَريفاً».

وقيل: شبَّه النارَ بالأمِّ في أنها تُحيط به إحاطة رَحِم الولد بالأمِّ[١].

وعن قتادة وأبي صالح وعكرمة والكلبي وغيرهم: المعنى: فأمُّ رأسِه هاويةٌ في قعر جهنم؛ لأنه يُطرَح فيها منكوساً.

وفي رواية أخرى عن قتادة: هو من قولهم إذا دَعَوا على الرجل بالهلَكَة: هوت أمُّه؛ لأنه إذا هوى ـ أي: سقط وهلك ـ فقد هَوت أمُّه ثكلاً وحُزْناً[٢]، ومن ذلك قولُ كعب بن سعد الغنوي[٣]:

هوت أمُّه ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غاديا ... وماذا يردُّ اللَّيلُ حينَ يَؤُوبُ[٤]

وفي «الكشف»: إنَّ هذا أحسن؛ ليطابق قولَه سبحانه: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ وما فيه من المبالغة. وقال الطيبي: إنه الأظهر. وللبحث فيه مجال، والضمير أعني «هي» عليه للداهية التي دلَّ عليها الكلام، وعلى ما قدَّمنا لـ «هاوية»، وعلى الوجه الثاني لِمَا يُشعر به الكلام، كأنه قيل: فأمُّ رأسه هاويةٌ في نار، وما أدراك ما هيه.. إلخ.

والهاء الملحَقة في «هِيَه» هاء السكت، وحَذَفَها في الوصل ابن أبي إسحاق والأعمش وحمزة[٥]، وأثبتها الجمهور.

ورفع «نارٌ» على أنَّها خبر مبتدأ محذوفٍ، أي: هي نار. و«حامية» نعتٌ لها،

---

(١) كذا في الأصل و(م)، والصواب: إحاطة رحم الأم بالولد.

(٢) البحر ٨/ ٥٠٧ دون نسبة، ومثله في تفسير الطبري ٢٤/ ٥٩٥، وزاد المسير ٩/ ٢١٥ عن قتادة.

(٣) في هامش الأصل: يرثي أخاه أبا المغوار.

(٤) البيت في الأصمعيات ص ٩٥، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٠٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٨١، والصحاح (هوى)، وأمالي القالي ٢/ ١٥٠، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٤، والكشاف ٤/ ٢٨٠، والبحر ٨/ ٥٠٧، والخزانة ١٠/ ٤٣٥. قوله: ما يبعث الصبح. . . ، يريد أن هذين الوقتين يجدِّدان ذكره، ويثيران الحزن عليه، لأن الصباح وقت الغارة، والليل وقت طروق الضِّيفان. سمط اللآلي للبكري ٢/ ٧٧٣.

(٥) التيسير ص٢٢٥ عن حمزة، والكلام من البحر ٨/ ٥٠٧.

وهو من الحَمْي: اشتداد الحرِّ؛ قال في «القاموس»[1]: حَمِي الشمسُ والنارُ حَمْياً وحُمِيًّا وحُمُوًّا: اشتدَّ حرُّهما.

وجعله بعضهم ـ على ما قيل ـ من: حَميتُ القِدْرَ فهي مَحْمِيَّةٌ، ففسَّره بـ: ذات حَمْيٍ، وهو كما ترى.

وقرأ طلحة: «فإِمُّه» بكسر الهمزة[2]، قال ابن خالويه: وحكى ابن دريد أنها لغة، وأما النحويون فيقولون: لا يجوز كسر الهمزة إلا أن يتقدَّمها كسرةٌ أو ياءٌ[3].

والله تعالى أعلم.

(١) مادة (حمي).

(٢) المحرر الوجيز ٥/٥١٧، والبحر ٨/٥٠٧.

(٣) نقله عن ابن خالويه في البحر ٨/٥٠٧.